طبق الاصل

مؤيد نعمة

قبائل القرن الحادي والعشرين

ديفيد رونفيلد

تكافح الولايات المتحدة ، في افغانستان والعراق ، القبلية القاسية بقدر ما تكافح الاصولية الاسلاموية ، فالتعاليم السلفية الداعية الى الجهاد ضد الكفرة ، والفتاوى الصادرة عن رجال الدين والتي تبرر قتل المدنيين وانذارات المتمردين الذين يقطعون رؤوس الاسرى ، جميعها تعبيرات عن القبلية المتطرفة اكثر مما عن الاسلام.

وقد اظهر البروفيسور لورنس كيلي بجامعة اوكسفورد ان الحرب القبلية الكلاسيكية تعادل تقريباً الغارات والمناوشات لكنها يمكن ان تتطور الى حرب شاملة يذبح فيها الناس جميعاً من دون رحمة. وهذا يحدث وفقاً لقول الصحافي الروائي امين معلوف، " لان المفهوم -القبلي- للهوية لايزال سائداً" في العالم ويسهل التصعيد. لقد كان للكثير من الاديان بدءاً من الطموحية القديمة فصاعداً، جذورها الاعمق في المجتمعات القبلية، وقد ظهرت الاديان التوحيدية الرئيسة- اليهودية والمسيحية والاسلام، خلال فترات زمنية قبلية متوترة في الشرق الاوسط. وتضم النصوص الاقدم لكل دين مقاطع تعبر وفاءً للاثنيات القبلية التقليدية، عن دعمها للايثار المتبادل نحو النسيب القريب والمعاقبة القاسية للقبائل التي تعتبر قد ارتكبت اهانة او اذى.

والطرق التي يشكل بها الدين طبقة على القبلية وبالعكس تكيف بصورة عميقة تفكير الناس وسلوكهم. وقد تعتبر القبيلة معبودها السلف الاقصى لهويتها. كما ان دينها قد يرشد افراد القبيلة كيف يدعمون مجتمعهم ويعاملون بعضهم بعضاً. وهو لا يحدد كيف يمكن لهم ان يتصرفوا تجاه الاجانب، لكن غالباً ما يوفر الدين التبرير. ويمكن للحياة القبلية ان تنشئ احساساً حيوياً بالصلابة الاجتماعية. وتملأ الناس بالكبرياء والاعتداد بالذات. وتحث الاسر على حماية واستقبال ورعاية بعضها بعضاً والثبات من خلال الشعائر المتشددة التي تؤكد روابطهم كأفراد قبيلة وبأسلافهم وارضهم ومعبودهم. وهذه القرابة تخلق الثقة والولاء الذي يعرف الواحد فيه (ويجب ان يعزز) حقوقه وواجباته وما عليه من التزامات. ويفضل الكثير من الناس في مختلف انحاء العالم الطريقة القبلية في الحياة، وبوجه خاص في الشرق الاوسط وجنوبي اسيا. بل ان المجتمعات العصرية التي انعدمت فيها القبائل والعشائر المحددة المعالم لاتزال تنطوي على حساسيات شبه قبلية في جوهرها تتجلى بصورة متنوعة في القومية، والمناسبات الاحتفالية الثقافية وجماعات المنفعة المدنية، ونوادي الهواة والالعاب الرياضية.

غير ان القبلية يمكن ان تعزز روح الانحياز المنحطة، فالقبائل والعشائر حساسة جداً تجاه الحدود والحواجز فيما يتعلق بمن هو من افراد القبيلة ومن هو ليس منها. وهكذا، يمكن لقبيلة ان تكون مملكة للفضيلة حيث يحكم الايثار المتبادل علاقات القربى، لكن هذا السلوك الفاضل، بمنطق القبيلة لا يملك ان يمتد نحو الاجانب او الغرباء، فهم يمكن ان يعاملوا بشكل مختلف خاصة اذا كانوا (مختلفين).

وعموماً، فكلما دعا الدين الى القربى بين جميع الناس، لكما امكنه ان يؤدي بهم الى الرعاية العالمية (وهو ما يفعله الاسلام في الغالب). والاكثر من هذا ان القبائل التي هي منفتحة على اكثر من ايمان واحد يمكن ان تكون اقل عرضة للغوايات الطائفية، فقبيلة رئيس الوزراء العراقي اياد علاوي، مثلاً، تحتوي على سنة وشيعة معاً. لكن كلما شيطن انصار دين ما الآخرين واستمتعوا بشرائع الانتقام لاخطاء مزعومة، وتعطشوا للفتوحات الاقليمية والروحية، مدعين انهم يفعلون ذلك لمصلحة معبودهم، كلما كان توجههم الديني قبلياً تماماً وميالاً لعقلنة العنف من اشد نوع.

ان كل الكراهية الدينية -سواء كانت مسيحيةاو يهيودية او اسلامية او بوذية او هندوسية او غيرها، تتكلم لغة القبيلة والعشيرة. وهذه اللغة معبأة وفقاً لنمط قبلي حقيقي بحساسيات تتعلق بالاحترام والشرف والكرامة والاهانة والاذى الذي يصيب أي واحد من هؤلاء يتحسسه جميع افراد العشيرة، والسبيل المشرف الوحيد لرد ذلك هو التعويض التام او الانتقام الشامل. وهذا هو المنطق الاخلاقي الاساسي لدى القبائل والعشائر مهما كان دينها.

وقد تسوء هذه السلوكات اذا ما قاد افراد القبيلة او العشيرة رئيس متعصب يرى نفسه ثورياً او امير حرب متحجر القلب. وما اسامة بن لادن وملا عمر طالبان وابو مصعب الزرقاوي او شامل باسييف الشيشاني الا امثلة لهؤلاء القادة. فلو ان الناس الذين يستهدفهم هؤلاء ردوا بطريقة قبلية -والقومية المتطرفة احد الامثلة- فإن المعارك بشأن دين من ينبغي ان ينتصر تصبح غير منفصلة عن قبيلة من ينبغي ان يكون لها الفوز . والامريكيون يعزون انفسهم بفكرة ان لا امة اخرى ستكون قادرة على مضاهاة قوتنا لعقود من الزمن. لكن من العصور حتى الوقت الحاضر غالباً ما واجهت القوى العظمى المتوسعة عالمياً قبائل وعشائر تقاومها بشدة واحياناً بنتائج رهيبة، كما حصل للامبراطورية الرومانية، وكلما كان المجتمع قبلياً او عشائرياً اكثر كلما كان اكثر مقاومة للتغيير، ويكون على الاصلاح عندئذ ان يأتي من الخارج او من فوق، كما حصل في يابان ميجي.

فالولايات المتحدة ليست في حرب مع الاسلام. وصراعها هو بدرجة كبيرة مع متمردين يتصرفون بطريقة القبائل والعشائر. وبعضهم افراد قبائل حقيقية.

والآخرون مجمعون بطريقة ترقيعية من رجال دين ومجندين جهاديين يعملون وسط مهاجرين جرى تحويلهم وتتعرف القوات الامريكية على هذا بطريقة صعبة على الارض.

وفي غضون ذلك، يبطئ صناع السياسة والستراتيجيون في واشنطن في ادراك الامر. ويقر التقرير الجديد لمجلس العلوم الدفاعية ان (الولايات المتحدة منغمرة في صراع نشوئي وعالمي يتعلق بالافكار، وليس في حرب بين الغرب والاسلام). لكنه لا يذكر دور القبلية في هذا الصراع الا في النادر.

ترجمة- عادل العامل
عن/ لوس انجلس تايمز

باكستان والتهديد الحقيقي لأسلحة الدمار الشامل

بقلم- روبرت شير

لو كان مركز التجارة العالمي مضروباً بسلاح نووي بدائي قبل ثلاث سنوات لقتل مئات الآلاف بدل ما قتل من (٣٠٠٠) او اقل ولسقط صريعاً ايضاً وبكل تأكيد تقريباً المجتمع الحر الذي نحتمي تحت مظلته. وفي صدمة تلك اللحظة كان يحتمل كثيراً ان تقيم الادارة شبكة وطنية من مراكز الاعتقال لمشكوك فيهم من الاراهبيين ولكان الانتقامي العسكري متضمناً اطلاق صواريخ نووية لها القدرة على إهلاك الملايين. كل هذا بالضبط سبب للفزع حين نقرأ مقالاً تحقيقياً في صحيفة (لوس انجلس تايمز) مفاده ان "حلفاءنا" في باكستان الذين فعلوا الكثير من اجل نشر تكنولوجيا الاسلحة النووية في السنوات الاخيرة لا يزالون يستطيعون فعل ذلك.

وذكرت الصحيفة الاخيرة "ان محققين كباراً قلقون بوجه الخصوص من ان عناصر خطرة في الشبكة غير المشروعة من المصنعين والمولين ما كان يمكن التنبؤ بهم قادرون على استئناف عملياتهم لو أن الضغط الدولي توقف. ونوهت المقالة الى عدم قدرة المحققين في طول العالم وعرضه على اختراق سوق السلاح النووي اللامشروعة بصورة تامة التي كان يديرها حتى العام الماضي العالم النووي رفيع المستوى (عبد القدير خان).

و(خان) الآن تحت حماية ديكتاتور باكستان العسكري الرئيس (برويز مشرف)وهو ذات الرجل الذي اصدر عفواً عن (خان) ورفض السماح للمحققين الاجانب بالحديث معه. ومع ذلك فهو ذات (مشرف) الذي امضى معه الرئيس (بوش) عطلة نهاية الاسبوع ممتدحاً ومناصراً.

وكما اوضحت مقالة (التايمز) فان "ما اطلق عليه المسؤولون بأسوأ قضية لانتشار الاسلحة النووية" التي تم عبرها تزويد ايران وليبيا ودول مارقة اخرى بتكنولوجيا نووية متطورة ما كانت لتتم دون دعم من الجيش الباكستاني .. وهذه هي ذات المنظمة المعقدة والقوية التي جعلت من باكستان ديكتاتورية في انقلاب عام ١٩٩٩ تحت قيادة (مشرف). ومع ذلك ففي غضون سنتين رفع (بوش) العقوبات الامريكية عن باكستان مسجلاً بذلك استهانة بقيود عدم الانتشار الدولية. وكان وراء ذلك سابقاً وآنياً دعم باكستان المزعوم في الحرب ضد الارهاب في اعقاب الحادي عشر من ايلول.

وعلى الرغم من افتضاح امر حلقة سوق (خان) السوداء فانه لم يتغير شيء ففي اجتماع في البيت الابيض قام (بوش) بتكريم (مشرف) معتبراً اياه "قائداً شجاعاً" وهو الذي منذ استيلائه على السلطة قام بتغيير المحكمة العليا واعاد كتابة الدستور.

ثم اسرعت الادارة موضحة ان (مشرف) لعب دوراً حيوياً في القاء القبض على اسامة بن لادن " حياً اوميتاً" كما اعلن (بوش) مؤخراً . وكم كان الموقف محرجاً حين اعترف (مشرف) بعد ساعات في مقابلة مع (الواشنطن بوست) ان محاكمة (بن لادن) اضحت باردة تماماً وانه حي يرزق ويقوم بعمله.

وقد تشكى (مشرف) من ان محاولات القاء القبض على بن لادن والعاملين معه في تنظيم القاعدة قد خربت بسبب ما اسماه مجاملة بـ (الثغرات) في التزام القوات الامريكية تجاه المنطقة حيث ان نسبة هذه القوات ١٥٪ بالمقارنة بالقوات الامريكية في العراق. وبدلاً من ذلك كانت استراتيجية الولايات المتحدة تركز على ايقاع بن لادن في شراك الجيش الباكستاني وهو اعتماد ذكرته إدارة (بوش) حين رفضت الضغط من اجل الوصول الى (خان).

واستكى (مشرف) من ان الدعوات للاذن بالاتصال الدولي مع (خان) تظهر نقصاً في الثقة بباكستان غير ان مشكلته تكمن في شعبية العالم النووي الهائلة حيث يعتبر "ابو " برنامج القنبلة النووية الباكستانية .

وقال الجنرال : ان (خان) بطل الجماهير علماً ان الجنرال نفسه نجا من محاولات اغتيال عديدة ويواجه امكانية قيام تمرد ضده ان انحرف كثيراً باتجاه الغرب .

وفي هذه الاثناء فان (بوش) متلهف بشدة ليجعل من ذلك الدكتاتور مفتاحاً لخلق ديمقراطية حرة حقاً. دولة ذات سلطة قضائية مستقلة وذات مجتمع مدني، دولة لها قدرة على محاربة الارهابيين، دولة تحارب الشقاق ودولة يصوت فيها الناس وان الرئيس مشرف يستطيع ان يلعب فيها دوراً كبيراً في المساعدة على تحقيق هذا الهدف فياله من هراء وليست هناك أي من هذه الظروف لمجتمع حر موجودة في باكستان وليست هذه الظروف على وشك التحقيق في العراق الذي تحتله الولايات المتحدة .

ومع ذلك فاننا حين نتعقب خرافة إرساء الديمقراطية في العالم الاسلامي عن طريق استخدام القوة نجد ان الحسابات الحقيقية لهذه الحملة يمكن قياسها بنسبة لا أباليتنا تجاه المبرر الاصلي لغزو العراق : الا وهو وضع حد لانتشار اسلحة الدمار الشامل.

وليس هناك من هامش للخطأ. ففي المرة التالية قد يستولي الارهابيون على (ما نهاتن) وكثير غيرها.

ترجمة - كاظم الحلفي
عن- لوس انجلس تايمز

الارهاب في جدة

قد تدحر الدولة السعودية الارهابيين ، برغم الهجوم الذي وقع هذا الاسبوع على القنصلية الامريكية. و لكنها ادارت ظهرها عن الاصلاحات الليبرالية.في الشهر الماضي ، تفاخرت الحكومة السعودية بأنها على وشك دحر الارهاب الاسلامي المحلي. و في هذا الاسبوع ، هاجمت القاعدة القنصلية الامريكية في جدة ، ثاني اكبر مدينة في العربية السعودية ، مودية بحياة خمسة اشخاص. هل يمتلك اسامة بن لادن اليد الطولى في موطنه الاصلي؟

الجواب بالنفي. فمنذ ايار ٢٠٠٣، عندما بينت سلسلة من الانفجارات في الرياض بوضوح جدية تهديدات المجاهدين، فقامت الدولة السعودية بشن هجوم مضاد. كانت الاشهر الستة الماضية بشكل خاص قاسية على المليشيات، الذين فشلوا في تحقيق أية "غارة"، كما يسمونها، عندما قتلوا ٢٢ شخصاً في هجوم يوم ٢٩ مايس. و من بين قائمة المطلوبين الاكثر التي تضم ٢٦ شخصاً التي صدرت السنة الماضية، لم يتبق سوى ٧ أشخاص طليقي السراح. كما تم تحييد العشرات من هؤلاء.

و لم تكن هجمات الجهاد، رغم جسارتها، مؤثرة جدا. فقد مات اربعة من الخمسة مهاجمين، و لم يتمكنوا من التسلل الى داخل مجمع القنصلية المحصن. و لا يعتقد الا القليل من السعوديين بان مثل هذا العنف سوف يحقق اهدافه المعلنة في تخليص السعودية من "الكفار".

لقد خفضت اعمال الشرطة المزودة بالكلاب من فعالية المجاهدين، في حين ادت السيطرة الصارمة على اعمال البر الاسلامي الى التقليل من امكانيات تمويل الارهابيين. و في نفس الوقت، تم حذف بعض من اكثر التفسيرات تعصبا للقرآن من الكتب المدرسية في العربية السعودية. و ربما الاكثر اثارة هو ان الدولة السعودية قد جندت بعض الاصوات المقنعة لادانة الارهابيين. و العديد من رجال الدين الذين كانوا فيما مضى من ضمن المليشيات قد شجبوا الارهاب. و في بداية هذا الاسبوع، عرض التلفزيون السعودي مقابلات مثيرة مع آباء عدة مجاهدين، قالوا فيها بان ابناءهم كانوا ضحايا عقيدة موت منحرفة.

و في نفس الوقت، كانت الحكومة السعودية قد تشجعت بارتفاع اسعار النفط، التي بقيت(بالنسبة اليها) عالية. من المتوقع ان يصل حجم الصادرات الى ١١٠ مليارات دولار في هذا العام، بزيادة قدرها ٦١ مليار دولار عما كانت عليه في ٢٠٠٢، سيساعد النقد الفائض في جعل الشرطة تشعر بالارتياح. فالمكافأت الحالية تعادل راتبي شهرين. كما انه يجعل المواطن السعودي العادي اكثر ثقة. و سجلت اسعار البورصة السعودية ارقاما قياسية. في حين لم يمض وقت طويل على بروز مشاكل مثل خلل في الميزانية السعودية، وارتفاع نسبة البطالة و انخفاض في الخدمات العامة التي قادت الى الحديث عن ازمة وشيكة. و لكن الامور لم تعد كذلك الان.

و مع ذلك فبالرغم من ان المحفظة ممتلئة، الا ان القلق بتنامي. فالكثير من الشباب السعودي في حالة ملل، متغرب وغاضب على امريكا؛ وهذا التشكيل يستمر في تقديم محيط جاهز لتجنيد متطوعين للجهاد. فبعض من هؤلاء المتحمسين قد ينالون مصيرهم بسلام عبر الحدود في العراق. و لكن قد يفضل آخرون تسديد رماحهم على اهداف "صليبية" في متناول اليد. وقد تستمر الحكومة السعودية في قتل هؤلاء باعداد صغيرة، ولكن الامراء الكبار مترددون في السماح باجراء اصلاحات عامة قد تسمح لهم بالتعبير عن احباطا تهم بطرق اقل عنفا.

عندما كانت الحكومة تعاني من نقص في السيولة النقدية، ابدت العائلة المالكة استعدادا لاجراء اصلاحات ليبرالية، طالب بها الكثير من الصحافيين و رجال الاعمال. و لكن بما ان المشاكل النقدية قد زالت، و مشاكل الامن قد اصبحت اكثر حدة، فقد عادوا الى عاداتهم الرجعية القديمة.

في آذار، اودع مجموعة من الاصلاحيين السجن لمطالبتهم باقامة حكم ملكي دستوري. لازال ثلاثة منهم في انتظار المحاكمة. و في تشرين الثاني، اصدرت الحكومة مرسوما منعت فيه جميع العاملين في الدولة، وهذا يشمل معظم العاملين السعوديين، و منهم الاكاديميون، من مناقشة سياسة الدولة علنا. و في تشرين الاول، اعلنت بان الانتخابات التي طال انتظارها، لاختيار مجالس بلدية في ١٧٨ مدينة، التي من المقرر ان تجرى في شباط، ستكون على نصف المقاعد فقط، و ستستثنى النساء تماما. سجل القليل من الناس اسماءهم في قوائم التصويت، مما دفع احد الصحفيين الى التعبير عن اسفه لان السعوديين يبدون اهتماما في الانتخابات اقل من البورصة. كل هذا قد وسع الفجوة بين ما يطمح اليه السعوديون و بين الحقائق على الارض التي يجب ان يتعايشوا. قد لا يكون هذا شيئاً سيئاً جدا، لو لم يؤد الى انقسام عميق في المجتمع السعودي بين الميول المتطرفة و العلمانية. اجاز هذا البلد لاول امرأة لأن تصبح طيارة، و لكنه يمنع النساء من السياقة، و الذي يفتخر بأنه اكثر البلدان استخداما للهاتف النقال في العالم، و لكنه يمنع استخدام اجهزة الهاتف التي بامكانها التقاط صور. لقد عمق الغزو الامريكي للعراق هذا الانقسام. و بالنسبة للكثير من السعوديين التقليديين، فان كل من يعبر عن توقه الى الحريات على النمط الامريكي ربما يكون مرتدا عن دينه. قد تكون العائلة المالكة السعودية قد طاردت المتطرفين بدون رحمة، و لكنها مازالت تحتضن المحافظين الذين يديرون مدارس البلاد، و المحاكم، و دوائر الرقابة.

وفي الوقت الذي يدين فيه رجال الدين كلاً من المتطرفين و حرب الامريكان ضد الاسلام، الا انهم يزعمون بان اطاعة الملك هي واجب ديني. بكلمات اخرى انهم يبعثون برسالة متناقضة تدين كل ما يمكن ان يكون مجددا، دينيا كان او علمانيا على السواء.

ترجمة فاروق السعد عن الايكونومست